(الأثر الدلالي) دراسة في تأصيل المصطلح

الكلمة المفتاح: الأثر

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

أ.م .د غادة غازي عبد المجيد م.م يسرى هادي رشيد

جامعة ديالى ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

usrahadi@yahoo.com ghadaghada33@yahoo.com

الملخص

ليس للأثر الدلالي تعريفُ اصطلاحيٌّ؛ لأن الأثر مفهوم يتحدد بحسب العلم الذي يوظف فيه، فهو مفهوم للفظ مُتاح عند الفقهاء والمفسرين والأصوليين والنحويين، والاصطلاح معناه الاتفاق على لفظة مخصوصة تدل على معنى مخصوص ، وليس للأثر معنى بهذا التعريف ، ولذلك فإن الأثر مفهوم وليس اصطلاحاً .

وعلى الرغم من تعدد المجالات الفكرية التي توظف فيها لفظة (الأثر) إلّا أن هذه المجالات – بتنوع دلالاتها – لم تخرج في مفهومها العام عن أن الأثر هو بقية الشيء، إذ كان المعنى اللغوي للكلمة حاضراً في طيات استعمالاتها المختلفة باختلاف فروع الفكر، وكأنّ الأثر هو المبحوث عنه معلوم الوجود مجهول الهوية .

والأثر الدلالي هو النتيجة المترتبة في سياق النص، وتوخّي الشحنات الدلالية والقيم الإيحائية، والقوى الجمالية التي تكمن وراء ألفاظ النص، ويبحث الأثر الدلالي عن الفضاءات والدلالات التي تختبئ وراء المقتضيات، لأن الأثر الدلالي يرصد خصائص الجزئيات وسلوكها في إطار الجزء والكل – دلالة السياق – من البيان والقواعد والأحكام، وما يترتب عليه من دلالات ومعانٍ يقصدها السياق .

المقدمة

الحمد للّه فاتح كلِّ شيء وتمام كلِّ نعمة ، أحمدهُ سبحانه وتعالى حمداً كثيراً طيباً طاهراً مباركاً فيه ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمدٍ ، صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم ،

وأمّا بعد ...

فإن للّغة أثراً مهماً في مجالات النشاط الإنساني كافة ، وفي دفع عجلة الحياة البشرية نحو الاستمرار ، ولا معنى لهذا العنصر البشري من غير اللّغة ،لأن اللّغة أداة فهم المعاني ونقل الأفكار بين الناس ، والقصد منها هو البيان في الأذهان والإفصاح عن المقاصد والأغراض ، ويتحقق بوساطة الإفصاح عن معاني المفاهيم وما تصبو إليه .

وهذا البحث يهدف إلى الكشف عن حقيقة (الأثر الدلالي) ، وذلك من خلال التعريف بكل من الأثر والدلالة ، وبيان المراد من إطلاق هذا المفهوم عليه ، ويتحقق بتأصيل المفهوم وتتبع جذوره اللّغوية وتوظيف المفهوم في سياقات اللّغة المختلفة مع احتفاظه بالمعنى اللغوي ، وهو ما بقي من رسم الشيء لهذا فإن الأثر مفهوم وليس اصطلاحاً ،لأن التعريف الاصطلاحي دلالة علمية تنص على أنه اتفاق جماعة مخصوصة على أمرٍ مخصوصٍ .

أولاً – مفهوم (الأثر)

ذكرت المعجمات العربية عدة معان لهذه اللفظة إلا أن معظمها كان لا يخرج من دائرة مفهومه ،وهو(ما بقي من رسم الشيء)[١] ،إذ قال الخليل (ت ١٧٥هـ): ((الأثر : بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يبقى عُلقَةً)) [٢] ، وقال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) هو: ((رسم الشيء الباقي)) [٣].

وفضلاً عما تقدّم فإن المعجمات العربية أوردت معاني أخرى لهذهِ اللفظة أجملها في الآتي :

١. الأجل

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) : ((فليصل رحمهُ الأثر الأجل ، وسمي به لأنه يتبع العمر))[٤] .

٢ . الخبر

جاء في لسان العرب قولُه :((والأثر الخبر، والجمع : آثار، وقوله تعالى:﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾[٥]، أي : نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم ...)) [٦] .

والأُثْر بالضم أُثر الجرح يبقى بعد البرء ، والإِثر بكسر الهمزة خلاصة السمن[٧] ، و(أَثر) فعل ثلاثي لازم متعدّ بحرف ، وإذا تعدى بحرف الجر (على) كان معنى (أَثر على) : عزم الأمر ، وإذا تعدّى بحرف الجر (اللام) كان معنى (أَثر له) تفرغ ، وإذا تعدّى بحرف الجر (في) كان معنى (أَثر في الشيء) : ترك فيه أثراً [٨] .

وقد أوردَ صاحب كتاب (التعريفات)[٩] ، لهذه اللفظة معاني أخرى ، منها :

١. النتيجة

ومقصوده ((هو الحاصل من شيءٍ))[١٠] ، وكذلك ((حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة))[١١] .

٢. العلامة

ومقصودها ((علامات تجعلها الأعراب في باطن خف البعير ، يقال : منهُ أَثَرْتَ البعيرَ فهو مأثور ، ورأيتُ أُثْرَتَهُ وثُؤْثوره ، أي : موضع أثره من الأرضِ)) [١٢].

وقد فرق أبو هلال العسكري (بعد٤٠٦هـ) بين الأثر والعلامة بقوله : ((إنّ أثر الشيء يكون بعده ، وعلامته تكون قبله ، تقول : الغيوم والرياح علامات المطر ، ومدافع السّيول آثار المطر)) [١٣].

وما ينبغي التنبيه عليه أنّ الأثر ليس له تعريفٌ اصطلاحيٌّ؛ لأنّه مفهوم يتحدد بحسب العلم الذي يوظف فيه ، فهو مفهوم للفظ مُتاح عند الفقهاء والمفسرين والأصوليين والنحويين ، والاصطلاح معناه الاتفاق على لفظة مخصوصة تدل على معنى مخصوص ، وليس للأَثر معنى بهذا التعريف .

لذلك فإن الأثر مفهوم وليس اصطلاحاً ، وهذا ما دعاني إلى بحث مفهوم الأثر على النحو الآتي :

١. الأثر عند الفقهاء والمحدثين

لا يخرج استعمال الفقهاء لمفهوم (الأَثر) عن المعاني اللغوية التي مرّ ذكرها ، وأكثر ما يستعمله الفقهاء للدلالة على بقية الشيء ، أو ما يترتب على الشيء ، كقولهم : في حكم

بقية الدم بعد غسله ، ولا يضر أثر الدم بعد زواله ويطلقونه على ما يترتب على الشيء ، فيستعملون كلمة (أثر) مضافة ، كقولهم : أثر عقد البيع ، وأثر الفسخ ، وأثر النكاح [١٤].

والأثر عند المحدّثين هو ما يطلق على ((المروي عن رسول اللّه أو عن صحابي أو عن تابعي ومن بعده من السلف ،وهو يقابل الخبر ،فمن يشتغل بعلم السلف يقال له :الأثري ،ومن يشتغل بالتاريخ يقال له :الأخباري .ويقال :الأثر خاص بما جاء عن رسول اللّه ،والخبر لما جاء من تاريخ الملوك والأمراء وأفراد الأمة)) [١٥]. و((يطلق ويراد به الجزء من وجود الشيء))[١٦] .

وقد ورد مفهوم (الأثر) لديهم – أي الفقهاء – بمعنى (العلامة) ؛ فيقال : عليه آثار الإسلام ، أو أثر الاستعمال [١٧]، وورد – أيضاً – في استعمال الفقهاء أَنّ الأثر بمعنى : (النتيجة) ، وما يترتب على الشيء من الأحكام الشرعية أو المسؤولية من قبيل قولهم : الأثر المترتب على العقد ، والأثر المترتب على جريان الأصل ، والأثر المترتب على كل طرف من أطراف العلم الإجمالي ، ويرى بعضهم أنّهُ النتيجة المترتبة من التصرف ، ويطلق عليه بعض الفقهاء (الأحكام) فيقولون : أحكام النكاح مثلاً . يريدون : آثارهُ[١٨].

٢ .١الأثر عند المفسرين

هو النقل ، وأصل النقل تتبع الأثر ، ويقال لكل ما يستدل به على شيءٍ ، إذ جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ [١٩]؛ فـ (آثار) جمع (أَثر) ، أي : بقية ما يُرى من كل شيءٍ ، ويدلُّ الجمع على الاستمرار ، أي : أنظر إلى آثار المطر في الأرض مرة بعد مرة ، ويدل الجمع على تعدد أثر المطر في الأرضِ وتنوع منافعه [٢٠].

٣ .١الأثر عند الأصوليين

عرّفه الأصوليون بأَنّهُ : ((علّة الحكم ، أو السبب الموجب له ، وهو ما يسمى بروح النص أو معقوله ، أو معنى معناه)) [٢١]، وهو ((الدليل الذي ثبت به كون الوصف حجّة ، ويعرف به كونهُ علة هو الأثر)) [٢٢].

٤ .١الأثر عند النحويين

الأثر في مفهوم النحاة هو الإعراب ؛ فهم يعرفونه – الإعراب – بأنّهُ (الأثر الذي يجلبه العامل) ، والمقصود بـ (الأثر) – هنا – هو الحركة الإعرابية التي تُذَّيلُ بها الكلمة بفعل وقوعها تحت تأثير العوامل المختلفة ، ولهذا يقول الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) بأنّه : ((

اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً))[٢٣] ، وذكر الاختلاف في الآخر إمّا بالحركات وإمّا بالحروف ، وذكر ما لا يظهر الإعراب في لفظة قدّر في محله .

وجدير بالذكر أن هذا الأثر لا يختص بالآخر ، ولأجله عبر السيوطي (ت ٩١١هـ) عن (الإعراب) بصياغة أخرى قائلاً : ((أثر ظاهر أو مقدر يجلبهُ العامل في محل الإعراب))[٢٤] ، وقد شرحه بقوله : ((إنّ المراد بالأثر الحركة والحرف والسكون والحذف))[٢٥] ،أي:العلامات التي هي إماراتٌ على المواقع (المحال)الاعرابية ،والعلامة تلك في نظر النحاة الأثر المباشر الذي يخلفه العامل ، فهذه : ((الأحوال الإعرابية وعلاماتها ظواهر طارئة حادثة على الكلم ، ليست من أصلها ، ولا هي منها)) [٢٦]، وإنّما ظهرت على أواخر الكلم بأثر من عمل العامل ، فكان بذلك الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .

يستبان مما مرَّ آنفاً أن مفهوم العمل النحوي يقتضي وجود العامل والمعمول ، والحركة الإعرابية رمز تأثير العامل في المعمول ، قال السكاكي (ت ٦٣٦هـ) : ((إنّ الغرض في هذا الفصل إنما يحصل بضبط ثلاثة : القابل والفاعل والأثر ، فلنضمنه ثلاثة أبواب أحدها في القابل ، وهو المسمى عند أصحابنا معرباً ، وثانيهما : في الفاعل ، وهو المسمى عاملاً ، وثالثهما : في الأثر ، وهو المسمى إعراباً ، ولا يذهب عليك أن المراد بالقابل ههنا هو ما كان له جهة اقتضاء للأثر فيه من حيث المناسبة وبالفاعل هو ما دعا الواضع إلى ذلك الأثر أو كان معه داعية له إلى ذلك ، وإلا فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم))[٢٧] .

يتبين مما تقدّم بأنّ الأثر يعني الإعراب ، وهذا ما دعا المرحوم الدكتور أحمد عبد الستار الجواري (ت : ١٩٧٩هـ) إلى القول : ((والإعراب عندهم كما ذكرنا أثر أو نتيجة ، ولابد للأثر من مؤثر ، ولابد للنتيجة من سبب)) [٢٨].

وعلى الرغم من تعدد المجالات الفكرية التي توظف فيها لفظة (الأثر) إلّا أن هذه المجالات – بتنوع دلالاتها – لم تخرج في مفهومها العام عن أن الأثر هو بقية الشيء ، إذ كان المعنى اللغوي للكلمة حاضراً في طيات استعمالاتها المختلفة باختلاف فروع الفكر التي تقدم ذكرها .

ثانياً – الدّلالة

الدّلالة في اللغة : مصدرٌ من (دلَّ – يدلّ) ، والدَّلالة بالفتح والكسر بمعنى واحد[٢٩] ، ودلَّ دلالة : إذا هدى ، وعَرّفَ وأرشد ، ومنه الدليل ، دليلي العالم بالدّلالةِ [٣٠].

والدلالة ((إبانة الشيء بإمارةٍ تتعلّمها ... دَللتُ فلاناً على الطريق ، والدليل : الأمارة في الشيء ، وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة)) [٣١] ؛ فالمعنى اللغوي يشمل الهداية والإرشاد والإبَانة والتوجيه نحو الشيء[٣٢] ، وقيل ((الدلالة أعم من الإرشادِ والهداية))[٣٣] ؛ لأنّ الكلمة ((إنّما تقوم في واقع الأمر بثلاث وظائف في آن واحدٍ ، هي :

الأولى : إنّها تمثل ، أو ترمز إلى المسمى في عالمه الخارجي سواءٌ أكان مادياً أم معنوياً ، أم فكرة .

والثانية : إنّ الكلمةَ قد تكون شاملة تستقطب كل أنواع المسمّى ؛ فكلمة (إنسان) تدلُّ على مخلوقٍ ، ناطقٍ ، مُفكر ، ذكر أو أنثى ، صغير أو كبير ... الخ .

والثالثة : إنّهما موزعة ، أي أن المعنى ليس ذهنياً نظرياً دائماً ، وإنّما هو – في الغالب – مُحصّلة بنائية يتحدد المعنى فيهما خلال استعمالها وانتظامها وسياقها وعلاقاتها بكلمات أخرى داخل التركيب المعيّن ، أو ما يسمى بـ(السياق اللغوي) ، وملاحظة سياق الحال))[٣٤].

وأمّا الدلالة اصطلاحاً ؛ فهي ((ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب))[٣٥]، أو هي ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدّال، والثاني هو المدلول))[٣٦].

والدّلالة إما وضعية أو عقلية أو طبيعيّة ، وهذه كلّها إمّا لفظية أو غير لفظية [٣٧]، والذي يهمنا من هذه الأقسام الدلالة الوضعية اللفظية التي تعني أن اللفظ متى ما أطلق فهم المعنى ، كدَّلالة المساجد على محل أداء الصلاة .

والدّلالة بوصفها علماً لغوياً يعرّفه بعضهم بأنّهُ : ((دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يتناول نظرية المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى))[٣٨] ، ويدرس علم الدلالة المعنى سواء على مستوى الكلمة أو التركيب، ويدرس العلاقة بين الكلمة والمعنى وتبدّل المعنى وأسبابه، وحياة الكلمة من نشأتها حتى انحساره[٣٩]؛ فالكلمة تشغل مركزاً محورياً في

الدرس الدلالي بمستوياتها المعنوية فهي ذات دلالة معجمية تتشكل أولاً بالصيغة [٤٠]؛ ولأنّ تحديد الدلالة وفهم المعنى يتم بشبكة من العلاقات تبدأ بالكلمة وتتوزع في النص كله ضمن السياق، فقد تتعدى الدلالة فتخرج من الدلالة المعجمية إلى دلالة مجازية يحددها السياق فتشير إلى مدلول آخر[٤١] ؛ فالصعوبة تكمن في تحديد دلالة الكلمة داخل السياق ، لأن الكلمة لا تقتصر على مدلول بها في ذاتها ، وأنما بما تحوي من المعاني كلها التي يمكن أن تتخذها هذه الكلمة ضمن (السياق اللغوي) ؛ فالمفردات في حقيقتها لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة إنما تتحقق دلالتها من السياق الذي تظهر فيه[٤٢] .

نلخص مما تقدّم أنّ مهمة (علم الدلالة) هو ما حددهُ كمال بشر بقوله: إنّ مهمّة هذا العلم هي البحث في معاني المفردات ومشكلاتها ؛ فضلاً عن معاني الجمل والعبارات، فهو يدرس القوانين والقواعد التي تخضع لها معاني الألفاظ من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية ، ومن حيث ما يطرأ عليها من تغيير كالتوسيع أو التضييق [٤٣] . ويبدو من هذه التعريفات أن جلها تجمع على أنّ غاية علم الدلالة هي دراسة المعنى .

وقد برزت عناية اللغويين قديماً بالبحثِ في الدلالة على مستويي الإفراد والتركيب؛ فالأول ظهرَ في عنايتهم بدلالات الكلمات ، والثاني في العناية الشديدة التي أولوها بضبط ألفاظ المصحف الشريف بالحركات إذ يعدّ ذلك – في حقيقته – عملاً دلالياً؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة ومن ثَمَّ إلى تغيير المعنى [٤٤]، وفي تحديد موضوع علم الدلالة ينقسم الباحثون على فريقين :

أحدهما : يرى أَنّ الموضوع الأول للدلالة هو (معنى الكلمة) ؛ لأنهم عدّوا (الكلمة) الوحدة الدلالية الصغرى ، أو الوحدة الصغرى للمعنى ، ودليلهم على ذلك وصف الكلمة المفردة بأنها من أهم الوحدات الدلالية ؛ لأنها تشكل أهم مستوى أساسي للوحدات الدلالية[٤٥] ، ومثاله ما استعمله المعجميون في كتبهم .

الثاني: يرى أنّ الموضوع الأول للدلالة هو (معنى الجملة) ، وإن كانت دلالة الكلمات على ما لها من أهمية إلا أنّهُ لابد من أن تكون موافقة لدراسة الدلالة على مستوى التعبير[٤٦]. هذا يعني أن الموضوع الأساسي في الدلالة هو (الطريقة التي تترتب على وفقها معاني الكلمات لتكون معنى الجملة) ، والدليل على ذلك : أَنَّ (الجمل) تكون وحدات دلالية أكثر شمولية ، وهي متركبة من وحدات على مستوى الكلمة ، وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنّهُ تعبيري .

وتؤيد الباحثتان ما يراه (د. تراث حاكم الزيادي) من أن علم الدّلالة معنيٌّ بدراسة كل من شأنّهُ إيصال المعنى ابتداء بأصغر وحدة في الدرس اللغوي ، وهذه الوحدة هي (الصويت) أو (الفونيم) على رأي بعضهم مروراً بالوحدة الصرفية والنحوية وانتهاء بأكبر وحدة في الدرس اللغوي ، وهي (الجملة) التي قد يتعداها بعضهم إلى (النص) المتكون من مجموعة من الجمل بوصفه (نصاً دلالياً) أو (وحدة دلالية) مستقلة لا تتجزأ [٤٧].

وقد شغلت قضية المعنى والمعنى السياقي حيزاً كبيراً من عناية علماء الدلالة عبر تاريخها الطويل ؛ فبحثوا عن معاني الكلمات ، وكأنّها وحدات منعزلة ما لبثت أن تحولت باتجاه آخر يؤكد أن معنى الكلمة في الكلام المكتوب أو المنطوق يبرز في السياق كله .

أمّا عن العلاقة بين علم النحو والدلالة ؛ فإن متقدّمي علماء النحو قد تنبهوا على أن صلة وثيقة تجمع بين العلمين ، وما يعقب ذلك من تأثير وتأثر نجد إشارته الأولى عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) حينما عقد باباً بعنوان : ((هذا باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعاً ، لأنك تبتدِئه لتنبِّه المخاطب ، ثم تستفهم بعد ذلك ، ذلك قولك : (زيدٌ كم مرة رأيتَهُ ، وعبدُ اللهِ هل لقيته) ... وكذلك سائر حروف الاستفهام))[٤٨]، واضعاً قيماً تمايزية بين الهيأة الأصلية في التنسيق الترتيبي للوحدات اللغوية داخل هذه السّياقات الطلبية ، وبين الهيئات المنزاحة المنتجة لهذا المؤشر الدلالي ، معبراً عن هذه الحدود التمايزية بقولهِ : ((وكان الأصل فيها أن يبتدأ بالفعل قبل الاسم))[٤٩]، وهذا إن دلَّ على شيءٍ إنما يدلّ على تيقنه بأن رتب العناصر الخطابية ((شديدة الحساسية ، وأي تغيير فيها يُحدث تغييرات جوهرية في المعاني ، وألوان الحس ، وظلال النفس))[٥٠] .

وعلى هذه الشاكلة يفسر سيبويه الأثر الدلالي النحوي في عنصري المبتدأ والخبر بإنتاج دلالة الاهتمام بالمقدّم والتركيز عليه لتبيان أهميته المضمونية في السياق ؛ لأنّ ((المقدم بؤرة التعبير))[٥١]، ولذلك قال : ((زعم الخليل – رحمهُ الله – أنه يستقبح أن يقول : (قائمٌ زيدٌ) ، وذلك إذا لم تجعل (قائماً) مقدماً مبنياً على المبتدأ ، كما تؤخر وتقدّم ؛ فتقول : (ضربَ زيداً عمرٌو) ، و(عمرٌو) على (ضرب) مرتفعٌ ، وكان الحدّ أن يكون مقدّماً ، ويكون (زيدٌ) مؤخراً ، وكذلك هذا الحدّ فيه أن يكون الابتداء فيه مقدّماً ، وهذا عربي جيدّ))[٥٢]، ذلك أن ((أهمية المعنى تأتي من أهمية الكلمة ، وتحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام ، أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي))[٥٣].

ولسنا – في هذا البحث – بصدد متابعة الأثر والتأثير بين علم الدلالة والموضوعات النحوية عند علماء العربية ، وإنما اكتفيتُ بمثال من أمثلة سيبويه الكثيرة والمتعددة[٥٤]، لأنّ هذا مما يطيل البحث .

ونجدُ التعليل في تأريخ النحاة قد تأثر بغيره من العلوم ؛ فكان الخليلُ(ت ١٧٥هـ) عالماً بالسّنةِ ، وسيبويه كان يرتاد حلقة حماد بن سَلَمة (ت١٦٧هـ)[٥٥]، ويستملي منه الحديث ، والفراء كان فقيهاً ومحدثاً ، وهذه صبغة العلماء في تلك العصور ، ((ويرتبط النحو – بوصفه العلم الذي يدرس المستوى التركيبي للغة – ارتباطاً جوهرياً بالدلالة ليس فقط لأن قواعده هي أداة التوصيل إلى الدلالة، وإنما لأن عنصر الدلالة مكون من مكونات القاعدة نفسها من ناحية كما أنّهُ من ناحية ثانية وسيلة لدراسة هذه القواعد وتفسيرها وتعليلها))[٥٦]، ومكانة المعنى أدت إلى اهتمام دارسي اللغة به اهتماماً جعله أساساً لتحليل التراكيب اللغوية ، وأتباع مدرسة الكوفة يرون أن سيبويه قد عمل كلام العرب على المعاني؛ فخلى عن الألفاظ، فأولى – سيبويه – الجانب الإدراكي رعاية واهتماماً على حساب الجانب الصوتي، أي: أنه يهتم بالدلالة وليس بالدال[٥٧]، وذلك لأن سيبويه ((ما من مسألة نحوية يتناولها بالتحليل إلا ونجده يربط فيها بين التغيرات التي تحدث على مستوى اللفظ وما ينتج عنها من تعديل أو تحوير على مستوى المعنى))[٥٨].

وتنبه بعض أئمة النحويين منذ وقت مبكر إلى ظاهرة التحول في الأساليب العربية وكيفية انتقال دلالة التركيب النحوي من مفهوم وضعت له في الأصل إلى مفهوم آخر جديد اقتضته سنن التطور في الاستخدام اللغوي ، والحاجة إلى التعبير عن الحالات المستجدة التي تتطلبها دواع نفسية وظروف اجتماعية لا تجد لها صيغاً مستقلة تعنى بها لاجئة لاستعارة صيغ أخرى تحاول إضفاء دلالات جديدة عليه، تفهم من السياق الذي استخدمت فيه[٥٩]، واعتمد النحاة الأوائل على المعنى الوظيفي في التعقيد النحوي فقد اتهموا بتحكيم المعنى عند تحليلهم النحوي فـ ((أتهم النحاة العرب بأنهم يحكمون المعنى في التحليل النحوي ، وخُطِّئوا في ذلك إبّان المد الشكلي للنظرية الغربية))[٦٠]، إذ كانت عناية اللغويين والنحاة والبلاغيين العرب القدامى، ومنذ عهد مبكرٍ بوظائف النحو أو معانيه؛ لأن الأنظمة والقوانين النحوية عنصر حاسم من عناصر تحديد الدلالة ، وفهم المعنى حتى تهيأ لهم وضع علم النحو وسنّ قواعده وتقرير قوانينه في ظل المعنى))[٦١]، ويعلل (د. هادي نهر) ذلك قائلاً: ((لأنهم اتخذوا من تلك القواعد والقوانين النحوية سبيلاً إلى فهم النصوص

اللغوية ، ومنها النص القرآني بما يجعل النحو العربي منذ نشأته الأولى لصيقاً بعلم الدلالة ، وأن للنحاة العرب المتقدمين قصب السبق على أي تراث نحوي أممي آخر في الربط بين النحو والدلالة))[٦٢]. أي: في ربطهم بين النحو ودلالته الوظيفية .

وتنوعت الدراسات الحديثة التي درست الأثر منها: دراسة أثر شخصية بشخصية، ودراسة أثر كتاب بكتاب، ودراسة أثر علم بعلم آخرَ وغيرها من الآثار التي تناولها الباحثون اللغويون لكن رغم كثرتها إلا أنني لم أجد أحداً من الباحثين قد أصلَّ لهذا المفهوم فضلاً عن وجود دراسات عنواناتها الأثر الدلالي، منها(الأثر الدّلالي لحذف الاسم في القران الكريم)، و(الأثر الدّلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم)[٦٣] إلّا أنهما لم يؤصلا هذا المفهوم .

فالأثر كمفهوم يصبح أصل الأصل، لأن الأثر من منطلق الأهمية التي يشغلها في تفسير اللّغة الفعل التحليلي ،لأنه يمثل وظيفة شبكة العلاقات الداخلية في تكوين العلامة؛ فضلاً عن تعدد امكانات الأثر إلّا أنّ الأثر يحدد بنية الكلام، فكل أثر له تأثير.

وفي ختام هذا البحث يمكن تعريف الأثر الدلالي بأنه : النتيجة المترتبة في سياق النص، وتوخي الشحنات الدلالية والقيم الإيحائية والقوى الجمالية التي تكمن وراء ألفاظ النص، ويبحث الأثر عن الفضاءات والدلالات التي تختبىء وراء المقتضيات، فهو البحث عن الدواعي الدلالية في سياقات النصوص، ويرصد الأثر الدلالي خصائص الجزئيات وسلوكها في إطار الجزء والكل – دلالة السياق– من البيان والقواعد والأحكام ، وما يترتب عليه من دلالات ومعان يقصدها السياق

Abstract

The Semantic Effect (A Study in Concept Rooting)

Key words: effect

A Paper derived from a Ph. D dissertation

Asst. Prof.Dr . Ghada Ghazi Abdul-Majeed

Asst. Lect. Yusra Hadi Rashid

University of Diyala, College of Education for Human Sciences

The semantic effect has no idiomatic (traditional) definition because the effect is a concept that is determined according to the science that is used in. For that it is an accessible concept for scholars, conservatives and grammarians. The traditional meaning refers to the agreement upon a special term that refers to special

meaning , and 'effect' has no meaning in such definitions. In a word , the effect is a concept not an idiom.

Although there are numerous intellectual fields that use the term (traditional), but these fields did not come up with that the 'idiom' refers to the rest of the thing in the way when the linguistic meaning exists in the different usage as the fields differ as that the ' idiom ' is the searched for is known being and its identity is unknown.

The semantic effect is the consequence of the context , investigates the inspirational values and aesthetic factors that exist behind the text. The semantic effect deals with the spaces and meanings of purposes because it targets the parts and their conduct in part-whole frame- context meaning- from rules and principles .

الهوامش

(١) ينظر : العين (أَثر) : ٢٣٦/٨-٢٣٨ ، ومقاييس اللغة (أثر) : ٧٥/١ ، ولسان العرب (أثر): ٥/٤ ، والقاموس المحيط (أثر) : ٣٦٢/١.

(٢) العين (أثر) : ٢٣٦/٨ .

(٣) مقاييس اللغة (أثر) : ٧٥/٦ .

(٤) لسان العرب (أثر) :٥/٤ .

(٥) يس / ٣٦ .

(٦) لسان العرب (أَثر) : ٥/٤ .

(٧) ينظر : لسان العرب (أَثر) : ٥/٤ ، والقاموس المحيط (أثر) : ٣٦٢/١.

(٨) ينظر : لسان العرب : ٥/٤ .

(٩) ينظر : التعريفات : ٢٣/١ .

(١٠) المصدر نفسه : ٢٣/١ .

(١١) التوقيف على مهمات التعاريف : ١٤١ .

(١٢) لسان العرب : ٥/٤ .

(١٣) معجم الفروق اللغوية : ٧/١ .

(١٤) ينظر : معجم لغة الفقهاء :ا/٤٢ .

(١٥) معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد:٨ ، ينظر: شرح نخبة الفكر : ١٦ ، قواعد في علوم الحديث : ٢٥ ، وموسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين : ٨/١ .

(١٦) معجم مصطلح الأصول :٩

(١٧) ينظر : معجم لغة الفقهاء : ٤٢/١ .

(١٨) ينظر : المصدر نفسه: ٤٢/١ .

(١٩) الروم / ٥٠ .

(٢٠) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ١٧٩ ، ومعجم وتفسير لغوي : ٥٥ ، والقيمة الدلالية لقراءة عاصم برواية حفص : ١٧ .

(٢١) نهج البلاغة : ٣١٠/٨ ، وينظر : موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين : ٨/١ .

(٢٢) موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين : ٨/١ .

(٢٣) الأنموذج في النحو : ٨٣/١ .

(٢٤) همع الهوامع : ٤١/١ .

(٢٥) المصدر نفسه : ٤١/١ .

(٢٦) نحو التيسير:٣٩ .

(٢٧) مفتاح العلوم : ٣٤ .

(٢٨) نحو التيسير : ٣٩ .

(٢٩) ينظر : العين (دل) : ٨/٨ ، وإصلاح المنطق : ١١١ .

(٣٠) ينظر : تهذيب اللغة (دل) : ٤٨/١٤ ، ولسان العرب (د ل ل) :٢٩٨/١١ .

(٣١) مقاييس اللغة (دلّ) : ٢٥٩/٢ .

(٣٢) ينظر : أساس البلاغة (د ل ل) : ٢٢٦ ، ولسان العرب (د ل ل) : ٢٩٧/١١-٢٩٨ .

(٣٣) الكليات : ٤٣٩ .

(٣٤) علم الدلالة التطبيقي : ١١-١٢ .

(٣٥) مفردات ألفاظ القرآن (دلّ) : ٣١٦-٣١٧ .

(٣٦) التعريفات : ٨٦ .

(٣٧) ينظر : المصدر نفسه : ٨٦ .

(٣٨) علم الدلالة ، د.أحمد مختار عمر : ١١ ، وينظر : علم الدلالة دراسة وتطبيقاً ، د.نور الهدى لوشن : ٣٣-٣٤ .

(٣٩) ينظر : علم الدلالة ، بيير غيرو : ٥ ، ١٠ ، وعلم الدلالة (بالمر) : ٣ .

(٤٠) ينظر : اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز : ٢١ .

(٤١) ينظر : البنى والدلالات في لغة القصص دراسة فنية ،عماد عبد يحيى(أطروحة دكتوراه): ٢٨ .

(٤٢) ينظر : الألسنية وعلم اللغة ، د.ميشال زكريا : ٢١١ .

(٤٣) ينظر : دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ، د.كمال بشر : ١٣ .

(٤٤) ينظر : علم الدلالة ، د.أحمد مختار عمر : ٢٠ .

(٤٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ .
(٤٦) ينظر : علم الدلالة ، كلود جرمان – ريمون لوبلان : ٣٠ .
(٤٧) ينظر : الدرس الدّلالي عند عبد القاهر الجرجاني : ٤٠ .
(٤٨) الكتاب : ١٢٧/١ .
(٤٩) المصدر نفسه : ١٣٧/١ .
(٥٠) دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية : ١٧٥ .
(٥١) التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد عيسى العامري : ٩٤ ، ١٢٨ .
(٥٢) الكتاب : ١٢٧/٢ .
(٥٣) جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم : ١٦١-١٦٢ .
(٥٤) ينظر: الكتاب :٥٦/١ ، ١٠٢/١ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٧-١١٨ ،٥١/٢- ٥٢ .
(٥٥) ينظر : طبقات النحويين واللغويين : ٦٦ .
(٥٦) المحتوى الدلالي للوظائف النحوية ، د. حسام أحمد قاسم (بحث) مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، ع (٩٢) : ٤٢ .
(٥٧) ينظر : النحو والدلالة : ٤٨ .
(٥٨) دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها ، د. صاحب أبو جناح : ٨٣ .
(٥٩)ينظر: اللفظ والمعنى في البيان العربي ، لمحمد عابد الجابري ، مجلة فصول (مج/٦) ، (ع/١):٢٣.
(٦٠) دراسات نقدية في النحو العربي ، د.عبد الرحمن أيوب : ٩ .
(٦١) علم الدلالة التطبيقي ، د. هادي نهر : ٨٠ .
(٦٢) المصدر نفسه : ٨٠ .
(٦٣) ينظر:الاثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم، الاثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

- الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم، للباحث : محمد جعفر العارضي، رسالة ماجستير، كلية الآداب / جامعة الكوفة، بإشراف (أ. د علي زوين)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
- الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم ، للباحثة : زهراء ميري حمادي الجنابي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة، بإشراف: أ.م.د مناف مهدي الموسوي، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩ م .

- أساس البلاغة: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت ٥٣٨هـ)، ط١، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٣٨٥هـ/١٩٩٦م .
- اصلاح المنطق: لابن السكيت، أبو يوسف بن يعقوب بن إسحاق(ت ٢٤٤هـ)، بشرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف، مصر،١٣٩٠هـ /١٩٧٠م .
- الألسنية (علم اللغة الحديث – المبادى والأعلام)، د. ميشال زكريا، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م .
- الأنموذج في النحو: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، اعتنى به: سامي بن حمد المنصور، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- البنى والدلالات في لغة القصص دراسة فنية، عماد عبد يحيى، أطروحة دكتوراه، بإشراف: أ. د : عبد الوهاب محمد علي العدواني ، كلية الآداب بجامعة الموصل،١٤١٢هـ /١٩٩٢م .
- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد/ ١٩٨٦م .
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد احمد العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، بتحقيق: عبد السلام وآخرين،الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤:١٣٨٧هـ/١٩٦٤:١٩٦٧م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) ، ط١، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة ، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م .
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم:د.محمد عبد المطلب ، ط١، مطابع المكتب المصري الحديث ، القاهرة ،الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ،١٩٩٥ م .
- الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي ،ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م .

- دراسات في علم اللغة ، د.كمال بشر ، ط٩ ،دار المعارف بمصر ،١٩٨٦م .
- دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها ، د. صاحب أبو جناح،ط١، دار الفكر للطباعة والنشر،عمان–الأردن،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
- دراسات نقدية في النحو العربي ، د. عبد الرحمن محمد أيوب ، مؤسسة الصباح للطباعة النشر والتوزيع / الكويت (د.ط) ، (د.ت) .
- الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني ، د. تراث حاكم الزيادي ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، ط١دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠١١م / ١٤٣٢هـ .
- دلالات التراكيب دراسة بلاغية : محمد حسنين أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٧م .
- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، شرحها :أبو معاذ طارق بن عوض بن محمد، دار المعني للنشر والتوزيع ،الرياض،١٤٣١هـ/٢٠٠٩م .
- طبقات النحويين اللغويين ، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد اللّه الزبيدي الاندلسي الاشبيلي (ت ٣٧٩هـ) ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف،القاهرة ، د . ت .
- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر، ط١، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الناشر: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع – الكويت–١٤٠٢هـ/١٩٩٢م .
- علم الدلالة ، – بيرجيرو، ترجمة : منذر عياشي– تقديم : مازن الوعر ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،١٩٩٢م .
- علم الدلالة ، ف. بالمر، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٥ م .
- علم الدلالة ، كلود جرمان وريمون لوبلان ، ترجمة ، د. نور الهدى لوشن ، دار الفاصل ، دمشق ،١٩٩٤ م .
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، د. هادي نهر، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد– الأردن ،١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م .

- علم الدلالة دراسة وتطبيقاً ، تأليف : د. نور الهدى لورشن ، ط١ ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ١٩٩٥ م .
- القاموس المحيط ، للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، دار العلم للجميع ، بيروت – لبنان (د.ت).
- قواعد في علوم الحديث ، للعلامة : ظفر أحمد العثماني التهانوي (ت ١٣٩٤هـ) ، حققه وراجع نصوصه وعلّق عليه : عبد الفتاح أبوغدة ، ط٣ ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، لبنان ،١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م .
- القيمة الدلالية لقراءات عاصم برواية حفص، د. محمد إسماعيل محمد المشهداني، ط١، مطبعة الوقف السني ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر(ت ١٨٠هـ)، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، عالم الكتب، بيروت– لبنان،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، بتحقيق : د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٨٥م .
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ=١٦٨٣م)، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة ناشرون،بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨هـ.
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، مراجعة ، د. يؤئيل عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ،١٩٨٧م .
- اللفظ والمعنى في البيان العربي ، محمد عابد الجابري ، مجلة فصول ، المجلد السادس ، العدد الأول ، ١٩٨٥م .
- المحتوى الدلالي للوظائف النحوية ، د. حسام أحمد قاسم ، مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، العدد الثاني والتسعون .

- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (بعد٤٠٦هـ)،تنظيم: الشيخ بيت الله بيات، ط١،مؤسسة النشر الأسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،١٤١٢هـ .
- معجم لغة الفقهاء: محمد رواس وزميله ، دار النفائس ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م.
- معجم مصطلح الأصول ، تأليف : هيثم هلال ، مراجعة وتوثيق : د. محمد التوتجي ، ط ١ ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ،بيروت–لبنان، ٢٠٠٣ م / ١٤٢٤هـ .
- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الاسانيد ، تأليف : د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ط ١ ، أضواء السلف ، الرياض – السعودية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) – تحقيق :عبد السلام محمد هارون – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.
- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن (مخطوطة الجمل) ، د.حسن عز الدين الجمل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠٣م.
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي(ت ٦٢٦هـ) ، ط١، مطبعة البابي الجلبي ، القاهرة – مصر ،١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .
- مفردات ألفاظ القران ،أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)،دار القلم –دمشق ، د.ط ، د.ت.
- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، د. رفيق العجم، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م.
- نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي ،أحمد عبد الستار الجواري (ت ١٩٧٩م) مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط١،القاهرة،١٩٨٣م.
- نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت ٤٠هـ)، شرح: ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٣٧م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .